الرؤية الإبداعية لفن التصوير الجدارى بين حفظ التراث و التنمية المستدامة

بحث مقدم من
أ.م.د/ محمد حسن محمد عبد المنعم كشك
الأستاذ المساعد بقسم التصوير – شعبة التصوير الجدارى
كلية الفنون الجميلة – جامعة الإسكندرية
جمهورية مصر العربية

المؤتمر العلمى الدولى الثانى

التنمية المستدامة للمجتمعات بالوطن العربى
دور الثقافة و التراث و الفنون و الصناعات الإبداعية و السياحية و العلوم التطبيقية فى التنمية المستدامة

أكاديمية الفنون ـ كلية الاثار جامعة القاهرة
كلية الفنون التطبيقية جامعة حلوان ـ كلية التربية الفنية جامعة حلوان

الأقصر ـ أسوان

ديسمبر ٢٠١٧

منذ وجود الإنسان و برزت حاجته إلى الإبداع ، و التى مُزجّت بطبيعة سحرية و أداه طقسية فى كهفه و تطورت حتى أصبحت غاية للإنطلاق نحو أفاق الحرية بمفهومها الواسع و الشامل ، و صحبت الدعوات إلى إعادة الإحياء و التنوير العلمى و إيضا سطوه الأسطورة ، إلى جانب الرمزية الدينية و النصوص و المتون القديمة التى تمثل التراث الثقافى و الحضارى للأمم ، كل ذلك إستلهمه الفنان فى إنتاج رؤيته الإبداعية الخاصة التى أصبحت بمثابة وسيلة حرة لمراجعة و تقييم الماضى فى إطار من الفكر الممنهج لإنتاج رؤى جديدة و معاصرة تقوم على محورين هامين هما (الشكل و المضمون) يتم صياغتهما فى حوار نقدى شفاف و مستنير يستوعب الثقافات المتعددة و الخبرات الخاصة ليحقق تجربة إبداعية تمس روح و وجدان المتلقى بشكل مثالى .

الفولكلور هو محاولة إلقاء الضوء على مظاهر الثقافة الشعبية العامة من جوانبها البيئية بما تحمله من أبعاد إنسانية إجتماعية و سيكلوجية ذات إرتباط بالطبيعة التاريخية و الجغرافية التى تبرز السمات السياسية و الإجتماعية و الثقافية التى يختص بها المجتمع و تراثه الثقافى الشعبى .

فتاريخ الشعوب مثل التراث الشعبى أحد أهم روافده و المكمل للمعرفة التاريخية و يمثل السبيل الأهم لدراسة البناء الثقافى الإجتماعى ، من خلال تحليل علاقات التفاعل و التأثير المتبادل الناتج من إتصال الثقافات المختلفة و ما ينتج عن ذلك من تغيرات تمس المجتمعات بشكل مباشر .

تنمية المجتمع و رفع مستوى معيشته و السعى لزيادة الإنتاج القومى لاتقتصر على المعرفة التكنولوجية و المقومات الإقتصادية فقط بل هى عملية تتم بتفاعل شامل و متكامل بين المقومات المعرفية التكنولوجية و القدرات الإقتصادية و الإتجاهات الثقافية فى ظل نظام إجتماعى متكامل .

عند التوجه نحو تنمية المجتمع و إنتاج برامج رفع كفاءة المجتمع على المستوى المحلى و المستوى القومى يجب إدراك أهمية العلاقة بين الفن بمفهومه الشامل و طبيعة ثقافة المجتمع ، و تلك المتصلة بأبعاد و محددات التغير الثقافى و طبيعة الإنسان ككائن ثقافى مكون للمجتمع و التى ترتبط بأساليب التنمية الواقعية و مفتاحا لفهم حضارة الشعوب و تراثهم الشفهى و المسجل .

دراسة التراث تشمل كل قطاعات المجتمع (حضرية و ريفية) (بدائية و متحضرة) و كافة جوانب حياة و ثقافة عامة الناس ، فالفرد له إتجاه و سلوك خاص بشخصيته الفردية و أيضا سلوك قد يكون مغايرا تجاة المجتمع ، فى كلاهما يحمل فى وجدانه موروثه الثقافى ، فالإنسان يستطيع أن يحدث توازنا بين أفعاله المادية المجردة و بين وجدانه و ما تمليه علية عواطفه دون أن يفقد ذاتيته الفردية المتميزة ، و أن ينتقى بين أنماط السلوك المختلفة التى تحددها التقاليد و الأعراف المجتمعية فى ظل نظام و إمكانات إقتصادية و ثقافية محددة مكتسبة ذاتيا أو من خلال الموروث الإجتماعى إلى جانب المعرفة و الخبرة المكتسبة من خلال المؤسسات الرسمية الحكومية مثل المدارس و الجامعات .

الثقافة العامة للمجتمع هى نتاج تطور مجموعة من الخبرات المكتسبة عبر التاريخ التى تجمع مجموعة من المحددات و الظواهر كالفنون التشكيلية و الموسيقى و الأدب و الفلسفة و السياسة إمتدت عبر التاريخ و ترسبت فى وجدان المجتمع بشكل متعدد الأنماط و المعايير تشكل دائرة تحوى أشكال و أنماط المجتمع و التى تؤثر بالضرورة فى توجه العملية الإبداعية التى تحمل الموروث الأدبى الشفاهى المنقول عبر الأجيال بما يحمله من خرافات و معتقدات و نظم إقتصادية و إجتماعية و قانونية و فنية و سلوكية .

الإنسان كائن ثقافى متلقى و متذوق للفن بفطرته رغم الإختلاف و التنوع بين طبيعة البشر و موروثهم الثقافى ، فعند التعرض لهذا الشأن بدراسة ثقافية تقتضى دراسة طبيعة الإقليم و تاريخه و مضمون الثقافة الشعبية بجوانبها المادية و الروحية التى تشمل العادات و التقاليد و الأعراف المختلفة

و وسائل التعبير عنها التى غالبا ما تظهر فى صورة فنون مختلفة (غناء – أدب – فنون تشكيلية) للتعبير عما يؤمن به المجتمع و القدرة على التمييز بينها من حيث أنها رؤية و توجه و إلهام لأفراد المجتمع أو الفنان صاحب العملية الإبداعية أو أنها توجه ناتج من المعتقدات الدينية ثم تم أسلبتها فى شكل جديد بفعل الموروث الثقافى ، و بالتالى خرجت من الإطار الدينى المجرد و لعب فيها الخيال دورا بارزا و أعطاها طابعا خاصا و تمكنت من أعماق النفس الإنسانية لكل طوائف المجتمع و توجهاته فتساوى فى ذلك محدودى التعليم و الثقافة مع مَنّ حصل عل مرتبه مرتفعة من العلم و الثقافة ، و ينعكس ذلك على سلوك المجتمع من خلال المواقف الإنسانية العامة و العادات و الإحتفالات و قد يصل الأمر للأفكار و التوجهات السياسية ، التى تمثل أحد الظواهر الأساسية للمجتمع و تمثل حقيقة أصلية من حقائق الوجود الإجتماعى فى كل الأحوال الإجتماعية و تظهر بقوة فى المجتمعات التى يمتلك فيها التراث قدرا كبيرا من التأثير و تظهر بقدر فى المجتمعات العلمانية المتطورة .

الفن الشعبى هو الفن المنتج بشكل فطرى دون توجيه محدد ، و أشكاله تُعَبر بشكل مباشر عن مدلولات التراث و تخاطب بشكل خاص غالبية الجمهور المعنى بطبيعته و مدلولاته و يعكس ثقافته و معتقداته ، إلى جانب الدور الأساسى الذى يلعبه الفنان الشعبى المُبدع سواء كان فنانا متخصصا أو صانعا حرفيا له القدرة على إطلاق العنان لخياله و قدراته الإبداعية الفردية و التعبير عن الذوق الشعبى السائد و إلتزامه بالذوق العام لمستهلكى إنتاجه ، من خلال فهم التراث و الثقافة الشعبية و أمتلك القدرة على التعبير عن الذوق الشعبى و روح الجماعة و قيمها .

التطور و الحداثة فى تناول الفن الشعبى و الناتج من تلاقى مكونات و محددات التراث مع الطلاقة الإبداعية و توجهات الفن الحديث نتج عنه تغير فى الثقافة الشعبية و الأساليب و التقنيات المستخدمة التى تغلغلت فى المحصلة التراثية للمجتمع و الإعتبارات الجمالية المحددة لقوة و مباشرة و نقاء الشكل و التعبير المكونة للعمل الفنى ، فالتراث الشعبى كغيره من جوانب الحياة يتعرض للتغيير و التعديل نتيجة تبنى أساليب الحياة الحديثة و التوسع فى إستخدامات التكنولوجيا إلى جانب تعاظم دور التغير فى النظم الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية ، و تلعب التطبيقات الحديثة لوسائل الإتصال الجماهيرى و وسائل الإعلام المتعددة دورا كبيرا فى تسريع وتيرة هذا التغيير ، و بالتوازى التأثير المتبادل للإتصال مع شعوب و ثقافات مغايرة إلى جانب المخالطة البشرية المتمثلة فى الهجرة و الإستيطان على نظام و سلوك الإنسان و إنعكاس ذلك على طبيعة الحياة الحديثة .

من أهم خصائص الإبداع الشعبى .. القدرة على الإستمرار ، فهو نتاج مجموعة من الخبرات و التجارب الحية التى تذخر بها ذاكرة الأمم و الشعوب و تسهم فى ضبط سلوك و معتقدات و أخلاقيات المجتمع ، اللذى بدوره يظل يتناقله و يردده من جيل إلى جيل ، و يظل المأثور الشعبى باقيا على مر الزمن و له القدرة على الإستمرار مستقبلا ، فأستمرارية التراث الإبداعى الشعبى هو بمثابة إستمرار الحياة نفسها بما تحمله من تغير و تبدل فى التوجهات و الدلالات بما يعكس القدرة على التكيف مع المستحدثات و المتغيرات التى تحدث للمجتمع ، فالتراث كيان متغير له القدرة على التجدد و الظهور فى أشكال و صور مختلفة يمكن إعادة إنتاجها و توظيفها بما يتلائم و تغير شخصية المجتمع و محفزا للتغيير فى بعض الأحيان مستخدما بعض الأساليب و الأليات التى تحمل بعض التوجهات و الأيدولوجيات الإجتماعية و السياسية و الثقافية بحثا عن سبيل أوسط فى ظل الجدال الدائر بين الإغراق فى الحداثة كعنوان للتقدم و المستقبل و بين الأصولية المحافظة كعنوان للمحافظة على الهوية و التراث ، و ما يتبع ذلك من ظهور أنماط فنية خاصة متباينة تختلف فيما بينها وفق طبيعة الأنماط الإجتماعية و الإقتصادية المتعددة .

العملية الإبداعية بكل جوانبها و فعالياتها تتم من خلال إطلاق العنان لخيال و وجدان الفنان ولكن فى ظل إحترام الطابع و النسق الشعبى السائد فى المجتمع من خلال مذاق و دلالات و تأثير العمل الفنى مع الإحتفاظ بشخصية و أسلوب الفنان المبدع ، و إلا خرج من كونه فنا شعبيا دالا على ميراثه الشعبى و متصلا بوجدانه و روحه ، و دون أن نقيد الرؤية الإبداعية ذاتها فتتحول لمجرد حلية لا تحمل أى قيم تعبيرية .

مثلت الأفكار و القصص و الأساطير الشعبية أحد الروافد الهامة لتوجهات المجتمع إلى جانب الرافد الأساسى للمعتقدات الشعبية المستمدة من الدين و أخص بالذكر (مصر) كمثال على هذا النسق ، و هنا نجد إهتمام الفنان بتمثيل مظاهر القديسين و الأولياء سعيا فى التبرك بهم و تلا ذلك أبطال السير الشعبية و الشخصيات ذات المكانة فى المجتمع ، و برز فى ذلك الفن القبطى بصفة خاصة و التى كانت أكثر عددا و إنتشارا وخرجت خارج محيط الكنائس و إنتشرت فى بيوت الكثير من المصريين (مسلمين و أقباط) ، و على العكس لم تظهر صور الموضوعات الإسلامية و تنتشر بهذا القدر لغلبه المعتقد الإسلامى بكراهه التصوير و إنتشرت عوضا عن ذلك وحدات الزخارف الخطية المستمدة من جماليات الخط العربى و الأيات القرآنية و التى شهدنا من خلال تنويعات لاناهية تزيد من الإحساس بالحركة و سمعنا من خلالها موسيقى الأداء الصوتى للمرتلين و غيرها من المؤثرات الإبداعية التى تلمس وجدان المتلقى بيسر و تلقائية ، و إستطاع أن يمارسه بصور متعددة كان أبرزها الميل إلى حشد العديد من النقوش و الأشكال الهندسية و العضوية وتكرار نفس الوحدات التى تزين لوحات من أيات القرآن أو أسماء الله الحسنى أو حتى لافتات المحال التجارية فى قوالب و أنماط موحدة تتبنى الطابع الشعبى العام فى تنوع و كثافة لانهائية مثلت أسلوبا فنيا مميزا للذوق الشعبى العام .

الحداثة و التجديد المستمر و بإيقاع سريع هو سمه العصر اللذى نعيشه و بالتالى لا يجب أن نقصر إهتمامنا بأعمال التراث القديم ، إنما يتعين علينا أن نولى قدرا من الإهتمام للأعمال التى تحمل فى طياتها الموروث الشعبى و تتسم بالحداثة فى آن واحد ، تلك الأكثر إتصالا بالواقع اللذى نعيشه و إقترابا من الجمهور و تعبيرا عن ما يدور بخلجات أنفسهم و قدرة على التغير و التطور بما يتوافق مع شكل الحركة الداخلية للمجتمع و إستشرافه للمستقبل ، فقضية الإبداع و التراث الشعبى لا تقتصر على مجرد إعادة إحياؤه أو إستلهامه فى سبيل إنتاج أعمال تتسم بما يعرف بالأصالة و المعاصرة ، إنما القضية الأساسية تتلخص بما يتعلق بإستخدامه و تداوله مما يتطلب إستلهام و تطوير و أسلبه بعض عناصر التراث بشكل من أشكال التجديد الفنى و هو ما نلمسه فى الأعمال الفنية التى ترعاها و تقدمها الجهات الرسمية و بالتالى تخضع لقواعد قياس الفن التشكيلى المتعارف عليه بداخل الأكاديميات الفنية بمفهومها العام ، وهو إنعكاس لأصل عملية الإبداع و تداول التراث عبر الزمن ، فهى عملية مستمرة طالما هناك أجيال تتعاقب بعضها مع البعض فى إطار من التطور و النمو المجتمعى على مر الزمن ، فالتراث الثقافى هو أحد روافد و مكونات الحياة و ينعكس تأثيره فى مختلف جوانب الحياة الإجتماعية للناس رغم التغيرات التى قد تطرأ عليه بمرور الزمن و لكن فى إطار من الوحدة التى تمثلها طبيعة المثل العليا التى تؤمن بها المجتمعات و تتمسك بها عاطفيا و تتوارثها و تلتزم بها .

الفن الشعبى فن تلقائى فطرى يعبر عن مجموعة من التقاليد و الأعراف المتوارثة عبر الأجيال بلغة بصرية نلمس من خلالها شخصية الفنان التى تأثرت حديثا بتعدد والسائل و والسائط التكنولوجية فى عملية التعبير الفنى و التى أتاحت للفنان إمكانية تطبيق أفكاره التصميمية بسهولة و إمكانية التغيير و التعديل بسرعة و يسر وهو ما كان يتطلب جهدا كبيرا بالأساليب القديمة المعتادة ، إلى جانب إمكانية إطلاعه على الحركات و التوجهات العالمية فى مختلف الفنون و خاصة الفنون

التشكيلية وهو ما أنتج أساليب أداء و توجهات و أفكار جديدة و إن ظلت هوية الفنان تظهر فى أعماله التى لعب فيها الرمز دورا بارزا بما له من قدرة على التعبير عن الأبعاد التاريخية التى يحملها الإبداع الشعبى و نقل الخبرات الثقافية المتراكمة للمجتمع فى إطار جمالى مرن يقبل التغير و التبدل وفق روح و متطلبات الزمن ، فهو فى مجمله حالة تشكيلية تعبر عن فكرة محددة لمجموعة من المثيرات الثقافية و الإجتماعية و السياسية ، لها القدرة على التواصل مع عامة المجتمع ، لذلك كان تذوق هذا الشكل من الفنون هو تذوقا شعبيا ، لأن الناس تشارك الفنان فى أفكاره و رؤاه و لدى بعضهم القدرة على ممارستها بقدر مختلف ، فالرمز الشعبى بإعتباره أحد روافد و مكونات التصميم و هو فى ذاته يعبر عن بيئته ويخدم وظيفة العمل بشكل بنائى جمالى تؤكدها مهارة الفنان و دقته فى تنفيذ و إخراج العمل فى صورته النهائية متفقا فى وحدة عضوية مع مفاهيم و تقاليد و إتجاهات المجتمع .

الرمز فى الفن الشعبى هو المكون الأساسى الفاعل لموضوعات التصوير الجدارى الشعبى و هو يعبر عن الحقيقة الروحية للمجتمع برسائل ضمنية تتداخل فيه مكونات التصميم الفنى و طبيعة البنية المكانية للعمل الفنى (الموقع – الموضع) التى يتجلى فيها الموضوع الجمالى للتعبير عنها ، و كذلك يأتى البعد الزمانى و قدرته على التعبير مفهوم العصر و القدرة على توصيل الرسالة الجمالية للمتلقى بشكل مثالى (زمن الإستيعاب) و تأتى شخصية الفنان المبدع هى المنسق بين مختلف الأدوار و معالم التصميم الفنى الذاتية و التى تعكس أسلوب فنى خاص و نمط و طراز فنى واضح يمثل شخصية الفنان و يعبر عن بيئته و تؤهله لإحتلال مكانه فى التراث الشعبى الوطنى و أيضا صفحات تاريخ الفن المضيئة .

يمثل الموضوع فى الفن الشعبى إنعكاسا للبيئة و النشاط السكانى و العقيدة الدينية و المعتقد الشعبى و الطبيعة الطبوغرافية للمكان و النظام السياسى للمجتمع فى وحدة عضوية تجمع بين كل ماهو مادى و روحى و بين ماهو ثابت و متغير ، فهو يمثل القيم العليا للمجتمع و يحاول التأكيد عليها و نشرها و ضمان إستمرارها ، فتنوعت بين موضوعات دينية (إسلامية و مسيحية) مثلت قيم الخير و البركة و الإيمان ، و موضوعات قصص البطولات و المأثر الشعبية وهى موضوعات تذخر بالرموز الشعبية فى تكوين العمل بما تحمله من معان و مضامين تؤكد على هدف و رسالة الموضوع ، فهى فى مجملها إنتاج مبتكر يحمل قيم تعبيرية صيغت بشكل يحقق قيما جمالية برع الفنان فى إنتاجها مستعملا مفردات لغة الشكل فى توصيل رسالته الجمالية الخاصة .

تعد الموارد الطبيعية و البيئية القابلة للنفاذ أرصدة غير متجددة ، و الحفاظ عليها واجب لأجل الأجيال القادمة ، و هذا الموضوع يمثل نقطه إهتمام العالم و بالتالى القيام بالعديد من الدراسات لإدارة إقتصاديات البيئة و ضمان تنمية مستدامة للبيئة الطبيعية و البيئة الإجتماعية فى إطار من الفعالية الإقتصادية ، فتعبير البيئة بمفهومه المطلق تناولته العديد من الدراسات التى ترتبط بالعلوم الإنسانية على إعتبار أن البيئة هى محل سكن الإنسان و من خلالها يشبع كل حاجاته و يضمن إستمرارية بقاؤه و تطوره فهى تشمل جوانب مادية (الماء ، الهواء ، التربه ، .....) و جوانب إقتصادية (الصناعة ، الزراعة ، التجارة ، .....) و جوانب معنوية (الديانات ، المعتقدات ، الأعراف ، .....) فى تشكل شخصية الإنسان و كيانه و توجهاته .

تدار هذة الموارد البيئية على إختلافها بنسق عام تشرف عليه الدولة بكل مؤسساتها وفق توجهاتها الخاصة سياسيا و إجتماعيا و إقتصاديا بما يحقق الإدارة الرشيدة للموارد لتحقيق أقصى قدر من التنمية المستدامة بما يضمن حقوق الأجيال الحالية و المستقبلية فى التنمية ، و زيادة إمكانات المجتمع و توفير فرص متكافئة لكافة أفراد المجتمع ، فالتنمية المستدامة هى قضية ثقافية أخلاقية فى المقام الأول قبل أن تكون قضية إقتصادية خاصة ، و هنا تبرز قيمة رفع الوعى الثقافى للفرد ، فالتنمية

المستدامة للإنسان المكون للمجتمع تستلزم فى المقام الأول رفع قدراته الثقافية و الفنية و التعليمية لكافة شرائح المجتمع و تحترم الخصائص و السمات التراثية له دون إغفال مقتضيات العصر من تطور و إتجاه نحو العالمية و الإتصال المباشر مع كافة الشعوب و المجتمعات و الثقافات المتعددة و الخصائص و السمات ، من خلال برامج التوعية و التدريب و خلق سبل تقييم و تقويم لإتجاهات التنمية و منظومة إدارة الموارد .

التراث الإنسانى هو ما ورثته الأجيال المتعاقبة من فكر و أدب و فن و فلسفة و ثقافة ، فهو يأتى معبرا عن هوية المجتمع و إنتمائه الحضارى ، و إنعكاسا لثقافة الحضارات و تراث الأمم و تطور المجتمعات عبر الزمن و يضمن إستماريتها ، فعناصر العمل الفنى هى تأريخ و تأصيل لتوجه و فلسفة المجتمع و سرد لأحداثه التاريخية و خصائصه الوظيفية و الإنسانية و الإجتماعية ، و القيم الجمالية و الروحية التى يحملها بين طياته و التى تحدد التوجه الثقافى و القيمى و الفكرى للمجتمع و خصوصيته و تعكس ملامح بيئته و تضمن إستمراريته من خلال برامج الحفاظ على ذلك التراث و آليات توظيف الموارد البشرية و الطبيعية و تنميتها سعيا نحو الحفاظ على الجوانب الإجتماعية و الثقافية و البيئية بمجموعة من الإجراءات التى تضمن لذلك التراث الفنى إستدامته ، و التى تتنوع بين برامج محلية و أخرى عالمية مع إعمال قدرا هاما لكيفية تحقيق عائد إقتصادى من عملية تنمية التراث لتوفير موارد تضمن إستمرارية عملية التنمية المستدامة لذلك التراث .

و تأتى المشاركة المجتمعية بدور فاعل فى عملية التنمية المستدامة للتراث عن طريق التأكيد على التوعية بأهميته و الحفاظ عليه و دراسته و فهم قيمه ، بحيث يصبح ذلك جزء من توجه المجتمع و أنه يلبى جزء هام من إحتياجات أفراده و أنه شاهد و دليل تاريخى هام و ليس مجرد عمل فنى قد يختلف عليه البعض ، و كذلك التأكيد على أهمية إستدامته مستقبلا من خلال إيجاد موارد توظف فى تنمية المجتمع إقتصاديا و التوسع فى إقامة مشروعات إقتصادية صغيرة توفر رخاء إقتصادى يشجع بالتالى التوجه نحو مشروعات التنمية البشرية التعليمية و الثقافية ، مما يؤثر بالإيجاب فى زيادة الوعى المجتمعى بأهمية التراث الثقافى و التفاعل بإيجابية مع أفكاره بشكل يمكن توظيفه لتلبية حاجات المجتمع و إمكاناته .

مَثّل التراث مجموعة من الوظائف الإجتماعية و النفسية ذات البعد القومى دون إغفال وجود العناصر الجمالية التى يمكن تذوقها سعيا لفهم مضمون التراث و من خلال ذلك يمكن محاولة إيجاد حلول لبعض المشكلات المعينة ذات الطبيعة المتغيرة وفقا لإختلاف الزمان و المكان ، فهو لايرتبط بظروف ثابته بل له القدرة على التوافق مع كل ماهو جديد ، فالتراث يقبل النمو و التكيف مع ظروف المجتمع و البيئة الثقافية المتغيرة ، فالتراث دائم التغير بشكل ديناميكى تحركه الطاقة الإبداعية لمفرداته التى تحمل فى طياتها جزور و تاريخ المجتمع .

التراث الفنى يتسم بالأصالة و الإبتكار و التوافق مع الحداثة من خلال التمسك بالأسس و المضامين الجمالية للمجتمع (فإن الأصالة فى الفنون تعنى إستيعاب و إحتواء مفاهيم التراث بصفة عامة ، و الفنون بصفة خاصة ، بما فيها من أنساق متباينة خلفتها الحضارات السابقة على مر العصور فى مكان ما ، كما تهدف إلى إعادة إكتشاف الصلات التى ترتبط بين الفكر فى فنون التراث السابقة و ما يلائمها من العصر الحالى للحفاظ على أصالة التراث) (عرسان،الرشدان، ٢٠٠٣ ص ١٤٨)

يعبر مفهوم المعاصرة عن الإتجاه إلى التجديد و الإبداع و إستمرارية التقدم و التطور للمجتمعات الإنسانية فى أفكارها و سلوكها العام مما يضمن تحول و تبدل طبيعة المجتمع عبرالزمن ، و يأتى الفن بشكله العام و فن التصوير الجدارى بشكل خاص معبرا و مؤرخا لتطور الفكر الإنسانى و تقدم منهجه و سلوكه ، وهو ما نستقى منه خصائص التراث الفنى كأحد روافد الأيدولوجية الفكرية للفنان عند إتجاهه لعمل تصميم لعمل فنى معاصر يرتبط بالتراث .

هناك ثمة رابطة وثيقة بين مفردات لغة الشكل فى التراث و بين لغة الفن المعاصر بما يحقق وحدة عضوية بين العناصر التشكيلية المكونة للعمل الفنى و ما تحمله من سمات شخصية الفنان و تفرده و قدرته على التعبير عن عصره لتنتج لغة تشكيلية بصرية متفردة لها خصائص و فعاليه خاصة فى الرسالة التى تقدم للجمهور .

فن التصوير الجدارى هو أحد مجالات الإبداع المرتبط بالتراث و له صله وثيقة بكل أنواع و توجهات الأنشطة الإنسانية و مرآة للمجتمع بكل قيمه و عاداته و تقاليده ، و المصور الجدارى يمتلك القدرة على إنتاج حلول تصميمية تتفق مع الإحتياجات الثقافية و الإجتماعية للإنسان و أيضا تتوافق مع شكل السطح المعمارى و طبيعة الموقع العام للعمل ، ليعبر عن خصائص المجتمع بصياغة فنية حديثة مبتكرة تجمع بين العلم و الفن بمفهومهما الشامل ليصل إلى الإبداع الفنى اللذى يحقق المتعة النفسية و الإجتماعية و الفنية و الفكرية .

العملية الإبداعية لفن التصوير الجدارى تتطلب القدرة على توظيف لغة الشكل و طريقة الأداء التقنى المتناسب مع خامة و أسلوب التنفيذ من خلال أستخدام مواد و طرق و تكنولوجيات تنفيذ حديثة ، قد يتطلب ذلك تداخل العديد من التخصصات حيث تتداخل الأنشاطة الإبداعية لتنتج تأثيرا نفسيا يتصل بالمتلقى و يتفاعل معه و يضيف الجديد له وظيفيا و يرتبط بأنشطته اليومية العديدة و ينتج علاقة بصرية تتوافق مع الطبيعة الطبيعية و الطبيعة المشيدة المحيطة بالعمل .

ترتبط العملية الإبداعية بالتراث الحضارى للفنان و ما يحمله من خصائص مادية و معنوية و إجتماعية و سياسية و ثقافية تشكل رافدا أساسيا فى توجيه فكر المصور الجدارى نحو إبداع حديث ، يجسد التراث الحضارى يدركه المتلقى و يرتبط بوجدانه فى شكل متطور يرتبط بطبيعة و معطيات الحداثة و التكنولوجيا التى تؤثر بقوه على طبيعة حياة الإنسان و تتيح للفنان قدرات إبداعية جديدة من خلال القدرة على إطلاق العنان للتخيل و الخروج عن الأشكال التقليدية و إنتاج تصميمات و تشكيلات فنية غير مسبوقة ، بلإضافة إلى إنتشار و سهولة نقل و تبادل المعلومات عبر وسائل الإتصال و التواصل المختلفة أتاحت الإطلاع على التجارب الفنية العالمية المختلفة و القدرة على عمل ورش عمل مشتركة تتيح إمكانية الإنتقال بين مجموعة من الأساليب و التجارب الفنية المتغيرة و المبتكرة .

(الإبتكار من أهم الصفات الإنسانية التى تؤثر فى تاريخ العالم ، فهو العامل المؤثر الأول فى تغيير المجتمعات بإعتباره المحرك الفاعل لعملية التجديد و التطوير) (حلمى المليجى ،١٩٧٢، ص١٩)

التصوير الجدارى هو فن يعتمد على القدرة على التعبير و الحوار بين الفنان و مجتمعه حول موضوع محدد ، و محاولة إيجاد علاقة بين ثوابت المجتمع العقائدية و الإجتماعية و بين المتغيرات الزمنية و الوظيفية ، سعيا نحو محاولة فهم الموضوع و إدراكه بما يؤثر على ممارسة الفنان لعملة و توجيه طاقاته الإبداعية لإنتاج عمل فنى متكامل ، يعكس موهبة و قدرة الفنان و مقدرته عل توظيف مفرداته التشكيلية لينتج عملا له مدلول جمالى و إبداعى يصل إلى وجدان المتلقى بصورة كاملة .

تتعدد العناصر الهامة التى يجب أن تتوافر عند أداء المصور الجدارى لعمليته الإبداعية و التى تضمن تحقيق قدرا من التنمية للمجتمع ، تتلخص فى أن يمتلك الفنان القدرة على مواكبة التقدم العلمى السريع فى مختلف أفرع العلوم بشكل عام ، مع قدرته على إدارة فريق عمل متكامل و متناسب يستطيع تحقيق متطلبات و معطيات التصميم الجدارى إنشائيا و ماليا و بصريا و إلكترونيا ، و التأكيد على العمل فى إطار مهنى أخلاقى و إدراك علمى لمفردات تنفيذ العمل الفنى و إمتلاك آليات و

تكنولوجيات العصر الحديثة و إدراك لمجموعة القوانيين و التشريعات و الأعراف المجتمعية بما يضمن إنتاج عملا فنيا يعبر عن ثقافة المجتمع و يعكس رؤاه و توجهاته بشكل سليم و مثالى .

يقوم المصور الجدارى بدور هام فى تشكيل توجه المجتمع و البيئة المحيطة بالفرد بما يتناسب و إهتماماته و إحتياجاته ، و يمتلك المصور الجدارى المصرى عبر تاريخه المتواصل إنتاجا أرتبط برغبة الحكام و المؤسسات الرسمية تارة و تارة بمتطلبات المجتمع و توجهاته و معتقداته الشعبية ، مما أنتج فكرا و فنا يحمل الوحدة بين التوجه الرسمى و الرغبة الشعبية ، و يحمل لغة بصرية خاصة بمفردات تشكيلية تعبر عن التراث فى إطار يخدم الموضوع و الهدف و الرسالة المطلوبة من العمل ، فنحن نجد أعمال التصوير الجدارى على جدران المعابد و المقابر المصرية القديمة ، و أعمال الفسيفساء الرومانية و أعمال الزخارف الجصية و الزجاج بالمساجد و القلاع و الأسبلة فى العصر الإسلامى ، حيث ظل هذا النهج حتى بدأت حركات التواصل و الإتصال مع أوروبا فى الثلاثينيات من القرن الماضى ، و بدأ المعماريون و الفنانون الأوروبيون يعبرون عن الشرق عامة و مصر خاصة ، و بدأت حركة البعثات إلى أوروبا و التى أثرت على فكر الفنان المصرى و ظهور محاولات تطبيق الفكر الأوروبى على المجتمع المصرى ، ثم أتت ثورة يوليو و ظهرت الأفكار الإشتراكية و المساواة بين أفراد المجتمع و توزيع الثروات بشكل متماثل ، ثم ما لبث أن تغير هذا التوجه المجتمعى لتنشأ نظريات الإنفتاح الإقتصادى لتظهر تغير كبير فى التوجه الثقافى للمجتمع المصرى و تعددت الهويات و الإتجاهات السياسية و حتى تعدد العقائد و الميول داخل الدين الواحد ، ثم ظهرت نظريات و الإتفاقات و الموائمات الإقتصادية و السياسية العالمية و التوجه نحو العولمة و إزالة كل الحدود أمام الأفكار و التوجهات بدون قيود أو تحفظات ، مما وضع المصور الجدارى المصرى فى تحد أمام ممارسته لعمله فى ظل تعدد التكنولوجيات التى تمكنه من الأداء المتميز اللذى يحمل فى طياته ملامح العصر الراهن و تراثه فى إطار توجه المجتمع السياسى و الإجتماعى و الإقتصادى و الثقافى المكون البيئة الحضارية المجتمعية التى يمارس من خلالها الفنان عمله الإبداعى .

تمثل الجوانب الإقتصادية محركا فاعلا فى توجه أسلوب التعبير الفنى فى إستخدام عناصر تشكيلية و أساليب فنية و خامات أقل كلفة ، و غلبة التوجه الوظيفى على التصميم الفنى ، فلا تعارض بين الفكر و الفن و الجوانب الإقتصادية و لكن يمكن إنتاج فن يتوائم مع هذا التوجه .

تأتى العادات و التقاليد و الأعراف و المعتقدات التى تمثل فى مجملها طبيعة ملامح المجتمع و تحدد العلاقة بين أفراد الشعب و بين بيئتهم و علاقاتهم الإجتماعية فى ظل نسق و إطار تنظيمى يختلف بإختلاف المجتمعات و ينعكس على سلوك أفراده ، هذا النسق يمكن توجيهه و تغييره عن عمد عند وضع خطط تنميته و إصلاحه ، و يمكن أن يتغير بشكل تلقائى بتطور ثقافة و طبيعة أفراده نتيجة إتصالهم بالمجتمعات الأخرى و ظهور بعض التأثيرات التى تغير من خصائص و سلوك الفرد تدريجيا ، و فن التصوير الجدارى يخاطب كل هذة الفئات المجتمعية على إختلاف رؤاهم و توجهاتهم و أنشطتهم الإجتماعية و التجارية و السياسية و العقائدية .

ثقافة المجتمع تمثل قدرته على إستيعاب و فهم المعارف المختلفة و تأثير ذلك على البنية الإجتماعية و سلوك الفرد و الجماعة و القدرة على إمتلاك سبل التواصل مع المفاهيم و العادات و الفنون التى تطرأ على المجتمع خلال فترة زمنية محددة ، قد تغير من توجهه و نمط معيشته ، فالثقافة مرادف للحضارة التى لا ترتبط بمجتمع و مكان و زمان محدد بل تتجاوز ذلك لآفاق أرحب زمانيا و مكانيا ، و إدراك معطيات و سمات الحاضر و الحركة نحو المستقبل ، و فى نفس الوقت تحمل ثوابت تظل مسيطرة كالدين و العادات و التقاليد ، و أيضا تحمل مظاهر معنوية متغيرة فى قيمتها مثل الكرم و الشهامة و الشجاعة ، بالإضافة لمكونات متغيرة تحددها الطبيعة الإقتصادية

و السياسية للمجتمع و هو ما يجب أن يحرص على فهمه و تضمينه عند التعرض لعمل فنى يخاطب المجتمع بمختلف طبيعة أفراده ، فالعلاقة بين الناتج الثقافى للمجتمع و طبيعة سلوك الفرد و دور العلوم و التكنولوجيا فى توجيه هذة العلاقة له أكبر الأثر على طبيعة فكر و عناصر التشكيل لفن التصوير الجدارى ، كما تسهم العقيدة و الدين ، إلى جانب العادات و التقاليد فى إنتاج مفردات تشكيلية خاصة تميز المجتمع اللذى أنتجها و يسعى للحفاظ عليها تعبيرا عن شخصيته و تميزه ، و يعبر عنها الفنان بإحداث تأثيرات نفسية و بصرية و فكرية تنبع من التراث الحضارى للمجتمع ، حيث يتأثر بخصائص حاضره المادية و المعنوية و الإجتماعية و الإقتصادية و السياسية و الثقافية و يستطيع من خلالها أن يعبر عن الملامح العامة المحلية و العالمية للمجتمع و تحقيق أداء فنى و مهنى متميز فى ظل المتغيرات السريعة و المتلاحقة للعالم .

يحتل المصور الجدارى المصرى مكانة عالمية منذ القدم ، و لكى يحافظ على تلك المكانة يتطلب ذلك أن يمتلك أدوات الإبداع الفنى و التقنى المتميز ، و أن تنعكس قدراته الإبداعية على مجتمعه المصرى على إعتبار أنه موضع إنطلاقه نحو العالمية مما يتطلب أن يكون المصور الجدارى ملما بالقضايا الدولية و الأفكار و الحلول التصميمية و التكنولوجية المرتبطة بفن التصوير الجدارى فى ظل الدور المتغير الذى يلعبه فى المجتمع عبر تغير الزمن قديما و حديثا ، و أيضا بحساب تأثير المقومات السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية و التى تشهد مجموعة متغيرات و تحديات تؤثر بشكل مباشر و غير مباشر على مختلف الأنشطة الإنسانية و الإجتماعية و التى تبرز فى العديد من تجارب المصورين الجداريين المصريين .

يجب أن يمتلك المصور الجدارى أيضا مجموعة من الأدوات التى تمكنه من أداء مهنى متميز ، يستطيع أن يضع التصميمات الفنية و الرسوم التنفيذية للعمل فى ظل معطيات السطح المعمارى و خصائصة المعمارية ، و الإشراف على تنفيذ العمل الفنى و صيانته و ما يصاحب ذلك من إدارة مالية و إدارية بالإضافة إلى الفنية و القدرة على التنسيق بين هذة الجوانب ، إنطلاقا من مسئوليته عن العمل فى ظل المتغيرات الإقتصادية و السياسية و الإجتماعية محليا و عالميا .

مما يستلزم القيام بمجموعة من الدراسات ذات طبيعة و توجهات متعددة ، تتلخص فيما يلى :

- **دراسة خصائص الموقع :**
  من حيث إستخدامات بيئية و إقتصادية و خطوط و مسارات الحركة و زمن الإستيعاب .
- **دراسة الخصائص التاريخية :**
  من خلال فترات زمنية تاريخية للمنطقة و تطورها عبر الزمن .
- **دراسة الخصائص العمرانية :**
  من خلال الخصائص الوظيفية و إستخدامات العمارة و توزيع المسطح النباتى و نظام توزيع الكتل و الفراغات النسيج العمرانى .
- **دراسة خصائص المشهد البصرى :**
  من خلال تأثير العمل الفنى على المشهد البصرى العام للموقع .
- **دراسة الخصائص الإقتصادية :**
  من خلال المردود الإقتصادى للأنشطة التى تتميز بها المنطقة و تأثيرها على طبيعة النشاط السكانى و آليه تطويرها بما يحفظ النسق الجمالى العام للمكان .
- **دراسة الخصائص الإجتماعية :**
  من خلال التوزيع السكاني للمنطقة و طبيعة إحتياجاتهم و مستويات دخولهم و نشاطهم الإقتصادى و طبيعة القدرات التعليمية و التوجهات الثقافية للسكان .

- **دراسة خصائص البنية الأساسية :**

من خلال طبيعة شبكة الطرق و حالتها و خطة تطويرها المستقبلية ، و مدى تأثير المرافق العامة ، و مسارات الحركة للمشاة و أماكن إنتظار السيارات .

- **دراسة الخصائص العامة :**

من خلال تحليل مجموعة الخصائص السابقة و الخروج برؤية عامة و وضع العديد من المقترحات التصميمية و البدائل وفق طبيعة المكان و مقوماته .

الفنان / محمد شاكر

محمد شاكر – جدارية محكى القلعة – الإسكندرية – ٢٠٠٢م – شكل (١)

جدارية محكى القلعة (تفصيلية) – شكل (٢)

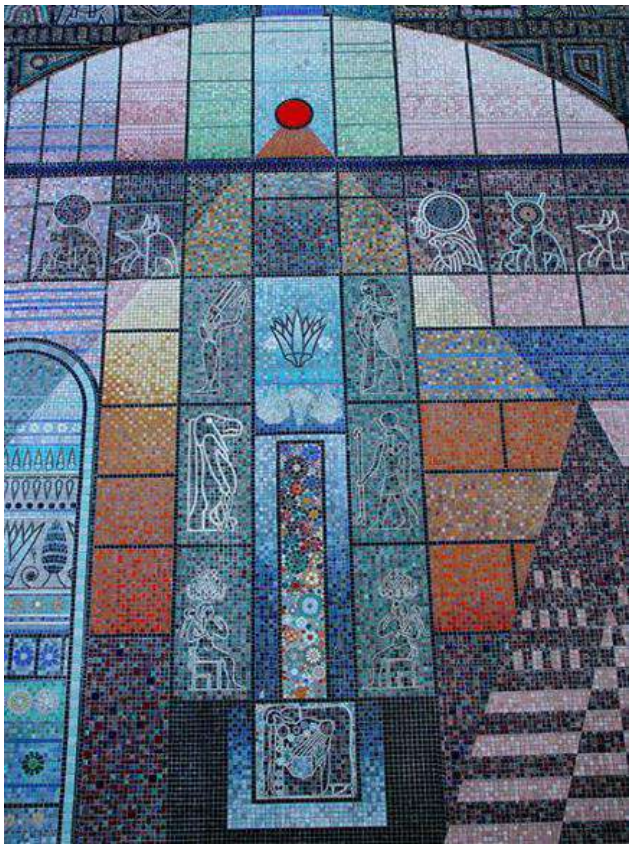

جدارية محكى القلعة (تفصيلية) – شكل (٣)

فن التصوير الجدارى هو فن يعبر به الفنان مستخدما مواد مُلَوِنّة أو خامات مُلَوّنة على جدران العمائر المختلفة – (سكنية ، حكومية ، خاصة ، عامة) – و تتنوع موضوعاتها بين الميل نحو الحس الأسطورى أو الشعبى و القصصى و تحمل فى طياتها البعد الدينى و الفلسفى و التاريخى و السياسى و الإقتصادى ، تخرج فى النهاية عملا فنيا يتحد عضويا مع العمارة وفقا لشكلها و أبعادها و وظيفتها و آليه إدراك العمل الفنى و زمن الإستيعاب ، و هو فن يعبر عن عصره ، و له دور رائد فى تنمية الثقافة البصرية للمشاهد ، فهو يسمح بقدر من إعمال الخيال يسمح بلإنتقال خارج حدود الواقع اللذى نعيشه ، دو إغفال تراث الشعوب و تاريخها ، ففن التصوير الجدارى يحمل رسالة ثقافية تمثل حلقة الوصل بين تاريخ الشعوب و حاضرهم و تطلعهم نحو المستقبل ، فهو الوسيط الناقل بين فترات الزمن من خلال تفاعل المتلقى على إختلاف ثقافته و مستواه الإجتماعى و رؤاه و معتقداته و فلسفته

فن التصوير الجدارى لايقصر على تجميل المكان ، بل يمتد دوره وفقا لطبيعة وظيفة المكان ، فهو فن يحمل فى بنائيته مفردات التراث ، و يعكس الشخصية الفنية و الحضارية للمجتمع ، فالتراث جزء من مكونات شخصية الإنسان ، و الفن هو المعبر عن الشخصية الثقافية و التراث للمجتمع ، و هو القاسم المشترك بين الماضى و الحاضر و مرأة المجتمع و الدافع لتنمية الشعور بالألفة و الإنتماء .

تتحدد محاولة فهم التراث و تقديمه فى صورة جديدة تتيح للمتلقى تذوقها و إدراك القيم الجمالية و الإبتكارية من خلال لغة بصرية تحمل فى طياتها علاقات تشكيلية و تحليل للقيم الرمزية تمكن المتلقى من إصدار حكما جماليا على العمل الفنى متضمنا تذوقه القيم التشكيلية الأساسية لمفردات التراث ، و يمكن من خلال ذلك تحليل إتجاه الفنان و قدرته على صياغة العمل الفنى من كونه إتجاه (هندسى أو رياضى أو فلسفى أو وجدانى أو رمزى)

إستلهم الفنان مفرداته التشكيلية من خلال عبقرية المكان و هويته المصرية التى تجمع عناصر الحضارة المصرية عبر عصورها المتعاقبة (المصرية القديمة – اليونانية الرومانية – الإسلامية) ، و صاغها فى إطار تشكيلى عبر فيه عن فكره الحضارى فى إطار تشكيلى حديث يوجه من خلالها رسالة بصرية تحمل أكبر قدر من التواصل و الإتصال بين الماضى بسحره الخاص و الحاضر بواقعه و المستقبل بتطلعاته اللانهائية ، فنجد تبادل الخطوط و المساحات الهندسية و العضوية والتى تجمع العديد من الأشكال و رموز الحضارات الثلاث فى إطار تتعدد به محاور الحركة الداخلية للتصميم اللذى إنتشرت العناصر التشكيلية التراثية بشكل مكثف فى مختلف أرجاء العمل و شغلت مظم فضائاته بكثافات مختلفة و طرق معالجة متنوعة فى محاولة لإنتاج طاقة إبداعية تعبيرية تخرج من حيزها الأصلى و تنطلق لفضاءات العمل الفنى و محيطه المكانى و الزمانى و تساهم فى إنتاج خطابا تشكيليا ثقافيا يلعب دورا هاما فى تاكيد الهوية الثقافية و البيئية للمجتمع و يمتلك بلاغة التفاعل مع الحياة العامة للجمهور و يظل له الأثر الأكبر فى وجدانهم و ذاكرتهم البصرية ، و هنا تبرز ذاتية الفنان و قدرته التعبيرية عن موروثه الثقافى و الوطنى و يحقق القدرة على تجسيد الطابع التراثى للمنطقة و ما تحمله من إرث الفنون التشكيلية الشعبية الموروثة و قيمها الفنية و الجمالية .

الفنان / أحمد نبيل

الفنان / أحمد نبيل جدارية بمطار القاهرة – ٢٠١٦ م – شكل (٤)

يمثل التراث قضية هامة تشغل فكر العديد من الفلاسفة و الباحثين و الفنانيين بقدر يثير حماستهم للشروع فى العديد من الأعمال الفنية و الأدبية و التشكيلية ، و قد مثل الفن المصرى القديم مثيرا هاما إنعكس أثره على التوجه نحو تصميم جدارى معاصر ، سعيا نحو محاول فهم مفردات هذا التراث و إستثمار مسارات الحركة فى التكوين فى إطار يميل نحو التجريد و محاولة البحث فى دلالات رسم الجسد الإنسانى و إعتبارة العنصر الرئيسى للتعبير و محاولة التجسيم و تمثيل البعد الثالث ، فتمثيل الشكل ليس غاية فى ذاته إنما هو محاولة إستثمار العديد من سمات التراث المصرى القديم كمدخل لإتجاه تعبيرى حديث معاصر يتمثل فى محاولة الجمع بين زاويتين فى رؤية موحدة للتعامل مع حركة الجسد و تعبيرات الوجوه ، و أيضا محاولة إستلهام قوانين التداخل و التراكب للعناصر الهندسية لدى المصرى القديم و إعادة صياغتها فى قالب معاصر فى بناء تجريدى .

الفنان عمد إلى إستعارة بعض الوحدات الزخرفية من الفن المصرى القديم و إعادة توظيفها برؤية تجريدية فى خلفية العمل ، و الجمع بين مشهد العازفات و محاولة إبراز شفافية الملابس لتأكيد موسيقى حركة الجسد و موسيقى الخطوط و المساحات اللونية فى خلفية العمل .

الفنان يحمل فى وجدانه الموروث المصرى بما يحمله من توجهات الفن المصرى القديم و عناصر الفن اليونانى الرومانى و فكر الفن القبطى و مفهوم الفن الإسلامى و أهمها محاولة توظيف الشكل الإنسانى و إخراجه من ملامحه الطبيعية و إظهاره بملامح جديدة تتوافق مه مضمون العمل الفنى و النظرة الحدثية لمفردات لغة الشكل سعيا للوصول إلى جوهر الرسالة التى يقدمها الفنان فى صياغة تشكيلية تجعل من السهل إدراكها و تذوقها للجمهور على إختلاف ثقافاتهم و توجهاتهم .

الفنان : سامى رافع

سامى رافع - جدارية محطة فيصل - مترو الأنفاق – القاهرة - ١٩٩٦ م - شكل (٥)

فى ظل الإيمان بدور الفن فى الإرتقاء بالمجتمع ، كلفت الحكومة الفنان / سامى رافع بعمل مجموعة أعمال داخل محطات مترو الأنفاق بالقاهرة ، و هنا نجد توجه الفنان لإختيار مفرداته من التراث المصرى القديم و البيئة المصرية و محاولا تمثيل كافة أطياف المجتمع فى العمل الفنى بإعتبار أنهم هم أنفسهم يرتادون هذة المحطات بشكل يومى و بكثافات متنوعة ، وهنا يجدوا أنفسهم ممثلين بالعمل لإحداث قدرا من الألفة بين المتلقى و العمل الفنى ، و هو بالتالى عمد إلى البساطة وعدم التكلف فى عرضه لعناصر تصميمه الفنى ، و الوضوح و المباشرة فى عرض فكرته و مضمونه الفلسفى للمتلقى ، وبذلك يضمن قدرا كبيرا من الإدراك و التفاعل بين العمل الفنى و المتلقى على تنوع و تعدد توجهاته و ثقافاته .

عبر الفنان عن فكرة العمل بإستلهام نسق الأنهر المتوازية فى التصوير المصرى القديم – رأسيا و أفقيا – فقسم المشهد لقسمين أفقيين ، الأسفل مثل نهر النيل بما يحويه من أسماك و قوامه اللون الأزرق و الأبيض ، و الجزء الأعلى مشهد من الحياة اليومية فى صعيد مصر بأشكال الأشخاص و أزيائهم ومن خلفهم تقسيمات هندسية تلخص شكل بيوت النوبة فى صعيد مصر ، و كأنها لحظة توقف فيها الزمن إنتظارا لوصول قطار المترو لتبدأ فى الحركة من جديد ، إستخدم الفنان الدور الفاعل للخط و تنوعه بتلخيص و مباشرة .

العمل الفنى يتجاوز مجرد التعبير عن الواقع ، بل يعبر عن محاولة تنظيم مجموعة من المفردات التشكيلية (شكلا – مضمونا) و ترتيب و صياغة مفردات العمل بشكل مبتكر من خلال توظيف الخطوط و المساحات و صياغة جديدة لمفهوم المشغول و الفراغ فى أوضاع مختلفة ، و بقدر يسمح بتوجيه رسالة بصرية و فكر فلسفى جدي يمكن للمتلقى إدراكه على مختلف ثقافاته و توجهاته ، و له القدرة على إحداث إيقاع و حركة داخلية سعيا نحو إنتاج رؤية إبداعية و جمالية جديدةإستطاع الفنان من خلالها حل الفراغ المتاح و طبيعة تفاعل المتلقى مع العمل ووظيفة المكان و الخروج بنتيجة تنمى قدرة المتلقى على لإحساس ببيئته و مجتمعة على إختلاف توجهاته .

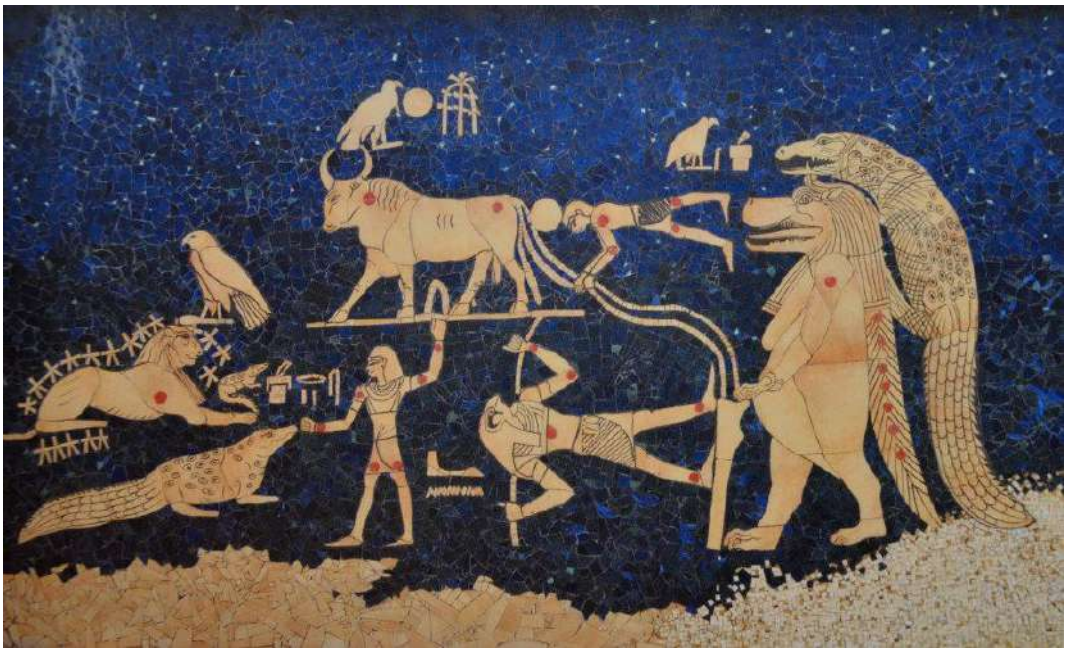

الفنان / محمد سالم - جدارية زويل (تفصيلية) الإسكندرية – شكل (٦)

الفنان / محمد سالم - جدارية زويل (تفصيلية) الإسكندرية – شكل (٧)

الفنان / محمد سالم - جدارية زويل (تفصيلية) الإسكندرية – شكل (٨)

تتحقق فلسفة الفن من خلال التأكيد على إدراك الفنان للموروث الثقافى و الخلفية الفكرية لبيئته و تاريخه الثقافى و الفنى ، و هو ما يحدد توجه الفنان و أسلوبه فى التعبير عن الهوية الفنية و الثقافية و الإبداعية للمجتمع و للفنان بإعتباره جزء من ذلك المجتمع ، و السعى نحو تنمية الوعى البيئى و قدره الفرد على تذوق الفن ، و التوجه نحو تأكيد توجه الفرد و المجتمع نحو إدراك القيم الجمالية للفن من خلال وعيه بموروثه الثقافى و الفنى ، و محاولة تأكيد الهوية الوطنية و الحضارية إنطلاقا من توظيف السلوك الإبداعى للفرد عن طريق إتصاله المباشر بأعمال التصوير الجدارى التى تعبر عن مضمون الأحداث و الإكتشافات العلمية و التطور التكنولوجى فى ظل موروث ثقافى و تاريخى يختص بهذا الجانب .

العمل يرتكز على تقسيم الصياغة الفنية لعدة مسطحات متتابعة تختلف فى الشكل و تتوحد فى عرض الفكرة فى ثنائية التعبير و الرمز ، فالمعالجة التشكيلية لمفهوم الزمن إنطلاقا من التراث التاريخى و الموروث الشعبى تزخر بكثافة الرموز التراثية و العلمية المجردة الحديثة معا قاسمها المشترك هو التأكيد على إيقاع الحركة داخل التصميم خلال زمن معين ينتقل فيه إدراك المتلقى لمفردات العمل ، حاول الفنان الحفاظ على هذا النسق و تطويعه بشكل حديث ، يعيد إستدعاء الذاكرة التاريخية للحاضر اللذى نعيشه و يستمد طاقته من موضوع أبحاث العالم الأستاذ الدكتور / أحمد زويل عن مفهوم الزمن و إكتشاف أبعاد فزيائية جديدة داخل الزمن ، و هو ما أستحق عليه جائزة نوبل ، و ما صاحب ذلك من زخم إعلامى و موضوع يتصل بقضايا المجتمع و تطلعه لمستقبل أفضل ، و تطلع بدورا هاما فى عملية الإتصال بالجمهور و التعريف بخصوصية رحلة الإنسان المصرى العلمية منذ فجر التاريخ و حتى عصرنا الحاضر .

تنشأ العلاقة بين بين العمل الفنى و مضمونه الفلسفى و قدرته على نقل مضمون الرسالة الفنية التى يقدمها الفنان مستعينا بمعطيات طبيعة الفضاء الحضرى الخارجى المحيط بالعمل و مكوناته و قدرته على الإتصال بالإنسان و أفراد المجتمع ليحقق التواصل من خلال طبيعة التصميم المتناسب مع سمات الفضاء المحيط لميدان (زويل) و الذى يدركة المتلقى فى حركة دائرية مرورا بالميدان و يحقق التواصل مع ثقافة المتلقى فكريا و بصريا و وجدانيا و التأكيد على إرتباط الإنسان بزمانه و مكانه .

نتائج و توصيات

مما سبق يتضح أهمية أن يمتلك الفنان القواعد و النظم التى قامت عليها فنون التراث ، فإدراك العلاقة التبادلية بين الشكل و الخلفية فى الفن الإسلامى و قيم الشكل فى تنوع الزخرفة و التكرار ، و التأثر بمقومات الفن المصرى القديم و عدم إستنساخه ، تجعل الفنان يحدد لنفسه منهجا فكريا و نظام شكليا بنائيا يصيغه فى إطار بصرى حديث ، حيث يشكل التراث مدخلا يمكن إستثماره فى إطار معرفى شامل للأفكار و الأيدولوجيات الجديدة المصاحبة للمكتشفات العلمية التى توالت خلال حاضرنا و ظهور العديد من الرؤى و النظريات المرتبطه بفزيائية الضوء و اللون و بروز الدور الفاعل للخامة التى تشكل مثيرا تشكيليا فاعلا فى العديد من الأعمال الفنية المصاحبة لتوجهات و نظريات و مدارس فنية تجمع بين مفاهيم التراث و الإتجاهات الفلسفية و العلمية الحديثة .

تتطلب عملية التنمية المستدامة لفن التصوير الجدارى وجود منظومة واضحة و محددة لتحديد رؤى و توجهات العمل الفنى المقام فى الأماكن العامة ، كما يتطلب ذلك وضع مجموعة من المعايير التى تحترم ثقافة المجتمع و توجهاته و أيضا الحفاظ على طلاقة حرية العملية الإبداعية للفنان ، إلى جانب صيانة تلك الأعمال لضمان االحفاظ عليه و إستمراريتها عبر الزمن ، و هنا نجد عدم توافر بيئة تشريعية و تنفيذية تدعم ذلك التوجه ، وهو ما ظهر جليا فى عدد لابأس به من واقع الأعمال الفنية التراثية و الحديثة على حد سواء التى عكست تخبط الواقع المعرفى لأهمية الفن التشكيلى فى تنمية التراث الثقافى الذى يجب الحفاظ عليه بوصفه المحدد الرئيسى للهوية المجتمعية فى ظل تنامى دور تكنولوجيا الإتصال و التقارب بين الحضارات و الشعوب و زوال الفوارق الزمانية و المكانية

و يبرز هنا الدور الحكومى من خلال وضع أطر و توجهات عامة لكل أدوات الدولة و منحها العديد من الصلاحيات التى تسهم بشكل إيجابى فى التعامل مع الواقع بمحدداته و متغيراته ، و تأهيل و توظيف الكوادر البشرية ذات الإمكانات الفنية و الإقتصادية و الإجتماعية و القانونية ضمن خطة للحفاظ على التراث و توظيف كافة الإمكانات لذلك .

أيضا يأتى دور منظمات المجتمع المدنى فى التأكيد على برامج دعم الوعى الثقافى لأفراد المجتمع و معاونة الجهات الحكومية فى تنفيذ الأعمال المطلوبة وإستثمار الجهد فى سبيل الحفاظ على إستدامة برامج التنمية المختلفة .

يشكل التراث أحد روافد الفن بصفة عامة و فن التصوير الجدارى بصفة خاصة ، حيث يتنوع مفهوم التراث بين تراث ثقافى و تراث طبيعى يعتمد عند الحاجة للحفاظ عليه إلى تأكيد الوعى الثقافى لأفراد المجتمع إلى جانب وضع منهج و سياسة محددة للحفاظ على العناصر التراثية تشترك فيها المؤسسات الحكومية و مؤسسات المجتمع المدنى و العمل الأهلى المحلى لضمان نجاح خطط الحفاظ على التراث و الإرتقاء بالمناطق التراثية بما تحويه من أنشطة إقتصادية و مجتمعية متنوعة ، و تتحدد هذا النسق فى عدة محاور :

- إنشاء قاعدة بيانات و معلومات عن كل ما يتعلق بالتراث الثقافى للمجتمع من دراسات معمارية و فنية و إقتصادية إجتماعية و دينية و بنية أساسية .
- تحديد مجموعة من الأهداف المرجو تحقيقها من عملية التنمية المستدامه ، و وضع خطط تنفيذ قصيرة و طويلة المدى .
- دعم برامج التوعية و التدريب وفق ما تقتضيه عملية التنمية المستدامة فى إطار الأعراف و المواثيق و الإتفاقات الدولية .
- تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدنى لتحقيق توازن الهوية الثقافية التراثية مع القدرة على تحفيز الإستثمار و تحقيق عائد إقتصادى .

- إنتاج قوانيين و تشريعات ترتبط بإعلاء دور الفن و التراث و آليه الحفاظ عليه ، و تحدد مسؤولية الدولة و المجتمع بشكل فاعل .
- تنمية دور المشاركة الشعبية و منظمات المجتمع المدنى و إعتبارها صاحبه دور أساسى و فاعل فى عملية التوعية بأهمية التراث الفنى و تنميته المستدامة .
- إدراج برامج الإهتمام بالوعى الثقافى و الفنى ضمن العملية التعليمية فى المدارس و الجامعات ، و زيادة مساحة التوعية بهذا الجانب من كافة وسائل الإعلام .
- الإهتمام بعملية التدريب لمجموعة من الفنيين متخصصون فى عمل ترميم المواقع التراثية و إدارتها و تقديم كافة الخدمات التى يحتاجها رواد الأماكن التراثية و الفنية .
- التأكيد على الإحساس بملكية أفراد المجتمع للتراث الفنى الثقافى و الإعتماد على هذا الجانب فى إنجاح برامج التنمية المستدامة و أنهم أصحاب مصلحة فى هذا .
- إشراك المجتمع المدنى فى حل المشكلات الإجتماعية و الثقافية و البيئية لكافة شرائح المجتمع التى تنشأ من تضارب المصالح و الأفكار تجاة أهمية التراث الفنى و عملية التنمية

المراجع

- ألسكندر روشكا ، الإبداع العام و الخاص ، ترجمة غسان عبد الحى أبو فخر ، عالم المعرفة (١٤٤) ، الكويت ، ديسمبر ١٩٨٩ .
- إحسان عرسان الرباعى ، وائل منير الرشدان ، إشكالية التواصل مع التراث فى الأعمال الفنية ، ص ١٤١- مجلة جامعة دمشق – المجلد التاسع عشر – العدد الثانى – ٢٠٠٣ .
- حسن الخولى ، الريف و المدينة فى مجتمعات العالم الثالث – مدخل إجتماعى ثقافى – دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ .
- حلمى المليجى ، دراسات تجريبية فى سيكولوجية الإبتكار – الطبعة رقم ١ ، جامعة بيروت العربية ، ١٩٧٢ .
- جون ديوى ، الفن خبرة ، ترجمة زكريا إبراهيم ، مراجعة و تقديم : زكى نجيب محمود ، المركز القومى للترجمة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١١ .
- عارف صالح مخلف ، الإدارة البيئية : الحماية الإدارية للبيئة ، دار اليازورى العلمية للنشر و التوزيع ، عمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٧ .
- زكريا إبراهيم ، مشكلة الفن ، ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
- فهمى جدعان ، نظرية التراث و دراسات عربية و إسلامية أخرى ، الطبعة الأولى ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٥ .
- محمود البسيونى ، الطابع القومى للفنون المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
- نوبلر ، ناثان " حوار الرؤيا " مدخل إلى تذوق الفنون و التجربة الجمالية ، ترجمة فخرى خليل ، دار المأمون للترجمة و النشر بغداد ، ١٩٨٧ .
- هربت ريد ، الفن و المجتمع ، ترجمة فارس متري ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٥ .

الأبحاث العلمية و الدوريات

- باربرا تروغلر ، إيكاترينا سدياكينا ، تقييم الأنشطة التقنية لقطاع الثقافة فى اليونسكو ، الجزء الأول ، إتفاقية عام ٢٠٠٣ لصون التراث الثقافى غير المادى ، التقرير النهائى ، منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة (اليونسكو) ، أكتوبر ٢٠١٣ .

شبكة المعلومات (الإنترنت)

- منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة (اليونسكو) ، صون التراث الثقافى غير المادى لتحقيق التنمية المستدامة ، ٢٠١٣/١٠/٢٣
http://www.unesco.org/new/ar/media-services/in-focus-articles/intangible-cultural-heritage-for-sustainable-development /

- " الإيسيسكو " ضرورة وضع آلية لتفعيل دور التراث الثقافى ، ٧ /٥ / ٢٠١٥.
http://www.youm7.com/story/2015/5/7/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D8%B3%D9%8A%D8%B3%D9%83%D9%88-%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D9%88%D8%B6%D8%B9-%D8%A2%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D8%AA%D9%81%D8%B9%D9%8A%D9%84-%D8%AF%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%89/2170842

- رمضان الطاهر أبو القاسم ، التنمية المستدامة للمدن القديمة
http://mirathlibya.blogspot.com.eg/2009/06/blog-post_20.html